جامعة المنصورة
كليــة الآداب

الطبقة الوسطى واثرها في التغيير الاجتماعي
تحليل سوسيولوجي للمجتمع العراقي

إعـــداد

نبيل عمران موسى الخالدي
باحث لدرجة الدكتوراه بقسم الاجتماع
كلية الآداب – جامعة المنصورة

إشـــراف

الاستاذ الدكتور/ محمد أحمد غنيم
أستاذ بقسم الاجتماع وعميد الكلية
كلية الآداب- جامعة المنصورة

الدكتورة / نورا عبد السميع
مدرس بقسم الاجتماع
كلية الآداب - جامعة المنصورة

مجـلة كلـــية الآداب – جامعـــة المنصـــورة
العدد الحادى و الخمسون – أغسطس ٢٠١٢

الطبقة الوسطى واثرها في التغييير الاجتماعي

تحليل سوسيولوجي للمجتمع العراقي

نبيل عمران موسى الخالدي

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الطبقة الوسطى العراقية وأثرها في التغيير الاجتماعي تحليل سوسيولوجي. وفهم بداية تشكل الطبقة الوسطى، والآليات التاريخية لهذا التشكل، وتحديد المدى التاريخي الذي أسلم في النهاية إلى تبلور بناء هذه الطبقة. وتحقيقاً لهذا الهدف يتبع الباحث بداية تشكل الطبقة والوسطى في العراق وفترات فاعليتها ونضجها ودورها في التغيير الاجتماعي خلال فترات تشكل الدولة العراقية الحديثة. وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج منها أن الطبقة الوسطى لم تعي التغيير الحاصل في تكون الدولة الجديدة، ولذا لم يكن لها دور فعال في السياسة وفي مختلف حالات التغير الحاصل ومواقعها، أو لم تجد لها دوراً في كل هذا، أو لم تتخيل أن لها دوراً، ولم يحدث تغير جذري في ثقافة كل تجربة الطبقة الوسطى ، فبقيت طبقة خارج السلطة. وتوصلت الدراسة أيضاً إلى أن الطبقة الوسطى العراقية الناشئة وخصوصاً في فترة نضجها في عقود الأربعينات، الخمسينات والستينات تمتاز بدورها في مجال الفن والفكر، وبغض النظر عن الانتماء القومي والديني والطائفي أرست هذه الطبقة وعززت التعددية الفكرية وأفكارَ التسامح والسلام الاجتماعي. ومن السهل أن نلاحظ أن القاعدة الاقتصادية ونمط المعيشة والكثيرَ من المشتركات بين أفراد هذه الطبقة قد عززت لحمة النسيج الاجتماعي للشعب العراقي وضيقت على دعوات الفرقة والاختصام وبفضلها انتشرت معايير التعامل على أساس إنساني بغض النظر عن الطائفة والقومية والدين.

Abstract

The Middle Class and Their Impact on Social Change: This Study aims to identify the Iraqi middle class and its impact on social change sociological analysis. And the beginning of an understanding of the middle class, and the mechanisms for this historic conformation, and determine the extent of the historic safest in the end to build this layer crystallization. To this aim follows the researcher beginning pose and middle class in Iraq and effectiveness and maturity periods and its role in social change during periods constitute the modern Iraqi state. The study found many of the results of the middle class did not understand the change in the new state, and therefore did not have an active role in politics and in various cases the change and locations, or did not find her role in all of this, or did not imagine that they have a role , and there was no radical change in the culture of all the experience of the middle class, leaving a layer out of power. The study also found that the middle class emerging Iraqi and especially in the period maturity in decades forties, fifties and sixties characterized its role in the field of art and thought, regardless of national affiliation, religious and sectarian laid this layer and enhanced intellectual pluralism and ideas of tolerance and social peace. It is easy to note that the economic base and lifestyle and a lot of commonalities between the members of this class have strengthened the social fabric of the Iraqi people and narrowed the invitations band Alachtsam and thanks spread standards dealing on a humanitarian basis, regardless of sect and nationalism and religion.

مقدمـــة

تحتل دراسة البناء الطبقي في المجتمع أهمية كبيرة وخاصة في علم الاجتماع المعاصر، وتعتبر ظاهرة الطبقية في المجتمع ظاهرة قديمة قدم المجتمعات الانسانية نفسها، كما أنها من الظواهر التي تمكنت منذ زمن بعيد من جذب أنظار الكتاب والفلاسفة أليها فكتبوا فيها بدءاً من أفلاطون ثم ماركس وغيرهم، ولايزالون يكتبون عنها حتى وقتنا الحاضر. وتعتبر دراسة الطبقات ركناً هاماً من أركان الدراسات الاجتماعية خاصة بعد ظهور الفكر الماركسي، حيث أصبحت العناية بدراسة موضوع الطبقات الاجتماعية بالدرجة الاولى نابعة من أصول تاريخية لا يمكن أغفالها أو التغاضي عنها. بل يكاد يكون من الموضوعات الكلاسيكية التي حظيت بقسط وافر من الاهتمام لا من جانب علماء الاجتماع فحسب، بل وأيضاً من جانب الفلاسفة ودعاة الاصلاح الاجتماعي الأمر الذي جعل التراث الفكري والعلمي في هذا الموضوع ينطوي على العديد من النظريات التي تعبر عن تصورات وايديولوجيات مختلفة ومتعارضة. وترتكز الاهمية التي يشغلها موضوع الطبقة والتدرج الطبقي عند علماء الاجتماع على تصور مؤداه أن ظاهرة انقسام المجتمع إلى طبقات اجتماعية تعلو بعضها بعضاً، ظاهرة عامة يكاد لا يخلو منها أي تنظيم اجتماعي انساني. وأن الانقسامات الطبقية تشكل مولداً رئيسياً للامساواة في المجتمع، حتى أنه من المتعذر أن نجد فيما يسود العالم من ثقافات مختلفة مجتمعاً واحداً يخلو من مظاهر الترتيب الطبقي الاجتماعي. حتى في المجتمعات البدائية التي قد لا تظهر فيها الفوارق الطبقية بين الافراد بنفس الدرجة من الوضوح التي تبدو عليها في المجتمع المتمدن.

وتثير دراسة الطبقة في أي مجتمع ، سواء كان متقدماً أو نامياً عدداً من الإشكاليات النظرية مثل صعوبة تحليل التركيب الطبقي لهذه المجتمعات، وذلك يتأتى من صعوبة تحديد نمط الإنتاج السائد، والذي يعتبر الخطوة الاولى لتحديد البناء

الطبقي، وهذا ما نجده بصورة جلية في المجتمع العراقي، لعدم تحديد نمط الإنتاج السائد فيه.

الفصل الأول: الإطار التصوري للدراسة

أولاً : موضوع الدراسة Multi study

تعتبر الطبقة الوسطى طبقة اجتماعية أساسية تحتل موقعاً مركزياً في التاريخ الاجتماعي والسياسي للعراق لعبت أدوراً تاريخية مختلفة، وساهمت بشكل مباشر في كافة التغيرات والمنعطفات الكبرى في تاريخ الدولة العراقية، باعتبارها الطبقة النشطة سياسياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً والمحرك الأساسي لكل تغيير اجتماعي. فقد ظهرت في فترة بداية تشكيل الدولة العراقية أبان فترة الحكم الملكي في العراق في القرن الماضي (الطبقة الوسطى) العراقية التي تأثرت بما وفد أليها واستوعبتها من أيديولوجيات شيوعية واشتراكية وليبرالية، ووعت خلفياتها الفكرية، فأشرت أهمية حقوق الأنسان وحق المرأة وحرية التعبير والنظرة المستقبلية. ويقودنا هذا إلى القول بأن دور الطبقة الوسطى في تغيير مجتمعها تغييراً جذرياً يتوقف على مدى حملها لعلاقات إنتاجية جديدة مناقضة تماماً للعلاقات الانتاجية السائدة، وعلى مدى وحدة أو تجانس تكوينها وامتلاكها لإيديولوجية مناهضة لإيديولوجية الطبقة السائدة، ومن ثم في مدى قدرتها على تحرير نفسها هي كطبقة وتحرير الطبقة الأدنى منها من سيطرة تلك الطبقة.

وعلى أكتاف هذه الطبقة قامت الاحتجاجات التي كانت تنادي بتحرير العراق من الأوضاع السائدة المتردية التي مر بها. ومشاركتها في الثورات الانقلابية لتغيير أنظمة الحكم العراقية المتعاقبة والتي يرجى منها أحداث الحراك الاجتماعي بفعل الطموح الذي لديها لتغيير وضعها. تتناول الدراسة الراهنة الطبقة الوسطى العراقية وأثرها في التغيير الاجتماعي تحليل سوسيولوجي.

ثانياً : أهمية الدراسة The Important of The Study

أن الطبقة الوسطى هي طبقة مهمة بفعل موقعها الاستراتيجي في الدولة، إذ يعيش إفرادها رخاء ورفاه يوفر مساحة من التطلع نحو المشاركة في حراك المجتمع الفكري والثقافي وقيادة الأنشطة الاجتماعية المتنوعة. فهي الطبقة التي يرى الباحثون في وجودها اكتمالاً للبناء الطبقي في المجتمع، ومحرك أساسي للثورات الحاسمة في التاريخ الإنساني (الصناعية، والسياسية، والمعلوماتية) (**M.S.Hicko1995. P.P. 311-324.**)

فالطبقة الوسطى تقود حركة التنوير وهي المنتج لأفكار النهوض في أوقات النهوض الاجتماعي، وتقيم التنظيمات السياسية المتعددة التي تحافظ على التعددية انطلاقاً من أيمانها بالديموقراطية، إذ أن نجاح التجارب الديمقراطية أعتمد على جملة أركان من أبرزها وجود الطبقة الاجتماعية الوسطى. ونجد من يقترح أن وجود الطبقة الوسطى يمثل شرطاً ضرورياً وضمانة للديمقراطية السياسية(**Glassman. 1995.p.113).** وقد وصفت الطبقة الوسطى بأنها "العمود الفقري لحركات المجتمع السياسية والاجتماعية والابداعية ولاقتصاد السوق على حد سواء، والديمقراطية في المجتمعات الأكثر تقدما" **(Birdsall.N. 2000.P.40).**

وتتلخص الأهمية العملية والعلمية في الآتي:

أ -الأهمية العملية للدراسة The practical significance of the study

دراسة الطبقة الوسطى العراقية تشكل دفعاً لنشاط علمي يعزز ما يسود دوائر الصحافة والسياسة والرأي العام والأوساط ذات الاختصاص، بحكم ما تتسم به من إمكانات موضوعية، طبقة مهمة بفعل موقعها الاستراتيجي في الدولة، وبفعل دورها في الاقتصاد الوطني، والأحزاب والاتحادات والمنظمات الأهلية، ومختلف وسائل الإعلام، ودورها الحاسم في الإنتاج الثقافي والفكري.

ب -الأهمية العلمية للدراسة The scientific importance of the study

يفرض التغير والتحول الاجتماعي الذي يمر به مجتمعنا ضرورة التوسع في الدراسات الحقلية والميدانية، وهذا يعني حاجة المجتمع العراقي إلى البحوث والدراسات العلمية المتعمقة، وتقديم نماذج واقعية يمكنها أن تعكس طبيعة التغير ودوره في التنمية الاجتماعية في المجتمع العراقي من خلال دراسة اثر الطبقة الوسطى في المجتمع العراقي. حيث ينظر لهذه الطبقة على أنها علامة إيجابية ورصيد هام لهذا التطور.

ثالثاً: أهداف الدراسة Objective of the study

١-فهم بداية تشكل الطبقة الوسطى، والآليات التاريخية لهذا التشكل، وتحديد المدى التاريخي الذي أسلم في النهاية إلى تبلور بناء هذه الطبقة. ثم تحديد المراحل التي بدأت فيها هذه الطبقة تنتقل من مرحلة كونها طبقة في ذاتها إلى طبقة لذاتها، أي اكتسبت فيها وعياً بمصالحها.

٢-التعرف على وضع الطبقة الوسطى في مجال إحداث تحولات على المشهد السياسي المحكوم اعرافياً، دينياً أو عشائرياً، وأطلاق ثقافة تعزز مفاهيم الديموقراطية وحقوق الأنسان والمرأة وفصل السلطات وتداول السلطة وأشراك المجتمع في القرارات المصيرية وبالأخص الفئات الشابة والاهتمام بمن يتوجب الاهتمام به من خلال العلم والتعليم وفتح فرص العمل.

٣-التعرف على فاعلية الطبقة الوسطى العراقية بعد فترات طويلة من أبعادها، مما أدى إلى عسكرة الدولة والمجتمع والاعتماد على الدولة الرَيعية في أحداث تحولات في المجتمع والثقافة والشخصية بل والدولة.

٤-التعرف على دور الطبقة الوسطى العراقية في أعادة هيكلة المجتمع العراقي ورفع فاعليتها لخلق منظومات قيمية جديدة تكون راعية للفعل التحديثي في المجتمع

العراقي. وإعادة تفعيل دور الجامعات ومنظمات المجتمع المدني في زيادة التحول الاجتماعي .

رابعاً: التحديد العلمي لمفاهيم الدراسة Specifically scientific study of the concepts of

أن الدراسة الراهنة سوف تحاول التعرف على أهم المفاهيم الأساسية التي لها علاقة مباشرة بمتغيرات الدراسة. وهي الطبقة، الطبقة الوسطى، التغير الاجتماعي.

أولاً: الطبقة الاجتماعية Social Class

أثار هذا المفهوم جدلاً واسعاً ونقاشاً كبيراً في تحديد وجهات نظر الباحثين لمفهوم الطبقة الاجتماعية. وذلك لأن هذا المفهوم من المفاهيم التي تتمتع بمرونة، وتحوي معاني مختلفة قد تناولها علماء الاجتماع بالتعريف وفقاً لأيديولوجية وثقافة كل عالم من هؤلاء(**Tiffani Chin.2004.p. 185-210**).

كذلك تختلف الطبقات فيما بينها من حيث أساليب واحجام الدخل الاجتماعي الذي تحصل عليه، وتتوقف تلك الأساليب والأحجام في التشكيلات المتناحرة طبقياً على إشكال الاستغلال. وحسب المعيار أو مجموعة من المعايير التي يعتمدون عليها في تحديد الطبقة كالدخل والثروة والملكية ومستوى التعليم وحجم النفوذ السياسي ونوع التطلعات والآمال من جانب أخر. كما أن هناك معايير موضوعية وأخرى ذاتية تبنى كل منها مجموعة من الباحثين في الطبقات الاجتماعية.

ويرى "ماركس Marx" الطبقة على أنها "تجمع من الأشخاص يؤدون نفس الوظيفة في عملية الانتاج"، كما يقرر ماركس أن أساس تقسيم المجتمعات إلى طبقات هو ملكية أو عدم ملكية وسائل الإنتاج وأن الموقع من وسائل الانتاج هو الذي يحدد كل العوامل الاخرى مثل المهنة والدخل وأسلوب الحياة(**Janel Thompson.1986.p40**).

والطبقة بتعريف "فلاديمير لينين Lenin" التي أولاها أهمية كبيرة بأنها (جماعة واسعة من الناس، تتميز عن بعضها تبعاً لموقعها في أحد أنساق الإنتاج الاجتماعي التاريخي ، وتبعاً لعلاقة كل منها بوسائل الإنتاج، وفي دورهم في التنظيم الاجتماعي للعمل، وبالتالي بطرق الحصول على الثروات الاجتماعية، وبمقدار حصتها في هذه الثروات، فالطبقات الاجتماعية هي جماعات تستولي إحداها على فائض أو ناتج عمل الأخرى بحكم اختلاف الموقع الذي تحتله كل منها في نظام محدد للاقتصاد الاجتماعي)(ف .ا. لينين. ١٩٨٥. ص٢٢٣).

ويشير مفهوم الطبقة لدى "بارسونز **T.Parsons**" إلى انها" مجموعة من الوحدات المتقاربة لها مكانات يقيسها اعضاؤها داخل اطار التدرج ويكون هؤلاء الاعضاء مكانات متساوية تقريبا، وعلى هذا فإن الملكية الطبقية للفرد هي التي يشترك فيها الاعضاء الآخرين المنتمين إلى وحدة متقاربة فعالة "(عبد الوهاب.١٩٨٤. ص٣٧).

ويرى حنا بطاطو أن "الطبقة عبارة عن تكوين اقتصادي في أساسه، بالرغم من أنه يشير في النهاية إلى الموقع الاجتماعي للإفراد والعائلات المكونين له في مظاهره المختلفة، وإن فكرة الطبقة تتطلب أو تفترض مسبقاً وجود فكرة (اللامساواة)، وبالتالي فإنها تتضمن وجود طبقة أخرى في الأقل، أو في النظرة الثنائية ، وجود مجرد طبقة أخرى رئيسية إلى جانب فئات أخرى أصغر، على عد أن (اللامساواة) تعتمد أساساً على (الملكية)، وتختلف في السمة والمغزى في ظل الأوضاع المختلفة" **(1978.p.23. Hanna Batatu)**.

ويمكننا تعريف الطبقة الاجتماعية هي فئة من افراد المجتمع يمكن تحديد مركزها الاجتماعي ببعض المعايير الخارجية المشتركة إذ تشترك في مواقع متشابهة من ملكية وسائل الانتاج او ضبطها او من علاقات العمل وانماطها وتتبلور بتبلور وعيها بمصالحها المشتركة وسعيها لتحقيق تلك المصالح من خلال تنظيم حركتها وتفعيل

مشاركتها. ويتفاعل الأشخاص الذين ينتمون إلى مثل هذه الفئات بأحوالهم ومظهرهم وطرائق سلوكهم.

٢ -**الطبقة الوسطى** Class Middle

الطبقة الوسطى هو مفهوم واسع ومثير للجدل ويحتسب ضمن قائمة المفاهيم المتنازع عليها اساساً**(Kreckel. 2006. p.2-16)**. ولأن مفهوم الطبقة الوسطى مشوش ويشمل أفراد وجماعات مختلفة لا تميزهم ممارسة سياسية مشتركة **(savage. 1991. p.28)**. إذ لا يوجد تعريف جامع للطبقة الوسطى**(.Cashell.2008)**.

ويعرف أحمد زايد الطبقة الوسطى بأنها عبارة عن شرائح متعددة من متوسطي ملاك الأرض الزراعية ومتوسطي التجار والصناع وموظفي الدولة وتكون الشريحة الأخيرة متميزة داخل هذه الطبقة. وينبع هذا التميز من أنها أكثر الشرائح قوة لقربها من نطاق صناعة القرار السياسي وتحكمها في مستوياتها الدنيا والوسطى في بعض الأحيان. وتضم هذه الشريحة البيروقراطيين والعسكريين وأصحاب المهن المتخصصة من أطباء ومحامين وأساتذة ومثقفين (زايد.١٩٩٠.ص٩٥).

وبتعريف محمود عبد الفضيل للطبقة الوسطى (فهي تضم كل الشرائح التي تملك رأسمالاً صغيراً، أو قطعة صغيرة من الأرض، أو تخصصاً فنياً، أو مستوى ثقافياً يسمح لها بأن تتعايش معتمدة على قوة عملها وعلى ما تمتلكه من أدوات أنتاج وقدرات، فهي في غير حاجة إلى بيع قوة عملها أو شراء قوة عمل الغير في أغلب الأحوال) (عبد الفضيل.١٩٩٧.ص١١٩).

ويمكن لنا صياغة **تعريف للطبقة الوسطى** في العراق **بأنها** جميع الافراد الذين يعيشون لا في "القمة" و لا في "قاع" من السلم الاجتماعي في وسط الهرم الاجتماعي أي بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا في البنية الطبقية للمجتمع العراقي، ويمتازون بنمط حياة محدد وقيم ومعايير، وتضم مختلف الشرائح الاجتماعية التي تعيش بشكل

أساسي على الرواتب المكتسبة من الحكومة ممن يشغلون أوضاع إدارية وتكنوقراطية متميزة، بحكم حصولهم على شهادات جامعية. أو شغلهم للمهن العليا في الإدارة بحكم التعليم، وهم أصحاب المهن المتخصصة مثل أصحاب المهن الفنية المتخصصة من الأطباء والمحامين والقضاة وأساتذة الجامعات والمدرسين والمحاسبين والمثقفين والضباط...إلخ. ويحتلون مواقع وسطى بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا بحكم ملكيتهم للثروة (النقدية أو العقارية) والقطاع العام وفى قطاع الخدمات والمهن الحرة الخاصة ممن يعملون بالنشاط التجاري والصناعي مثل المقاولين وبعض المحال التجارية. كما أنها تضم أيضاً من يعملون لحساب أنفسهم. إن أهم ما يميز هذه الشرائح هو أن دخل أفرادها الأساسي ناجم عن العمل الذى يغلب عليه الطابع الذهني والتقني، إنها خليط واسع متباين ومتعدد وغير متجانس من الأفراد والجماعات. وهم الأكثر قدرة على العمل السياسي والمهني.

٣ -التغير الاجتماعي Social Change

التغير الاجتماعي سمة لأي مجتمع ، إذ لم يخل منه مجتمع من المجتمعات قديمها وحديثها. بيد أن ما يتصف به التغير في عالم اليوم، هو أنه تغير سريع وشامل. ثم إن مجتمعات اليوم غدت تستعين بوسائل كثيرة لإحداث عملية التغير الاجتماعي. والمجتمع الإنساني مجتمع متغير بطبيعته، لا يبقى على حالة واحدة، فكل جيل يحدث تغيرات في البنى الاجتماعية، وكل جيل تال يضيف تغيرات جديدة أو يلغي بعض السمات لتغيرات اجتماعية سابقة وعندما يحدث التغير الاجتماعي في مجتمع ما، فإن آثاره تطال كافة الظواهر والنظم الاجتماعية داخل هذا المجتمع.

ويشير "فريتشيلد **Fairchild**" إلى أن التغير الاجتماعي هو ذلك الفعل الحركي الذي يتوافق مع التغير الذي يحدث في الأهداف التي كانت موجودة من قبل ، ويحدث هذا التغير عندما تعجز النظم التي يحتوي عليها البناء الاجتماعي عند تأدية

وظيفتها طبقاً للأهداف الجديدة للمجتمع . ويؤثر هذا التغير على مكونات الوحدات التي يتألف منها المجتمع بنائياً ووظيفياً(عبد اللطيف.١٩٩٥.ص٢٥).

وأن التغير الاجتماعي يشير إلى مجموعة من العمليات المتتابعة عبر الزمن والتي تنتج أشكالاً من الاختلاف والتباين التي تؤدي إلى تغير البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية والجوانب الثقافية المختلفة كالقيم والمعايير والمعتقدات(زايد وآخرون. ٢٠٠٦.ص٢٠).

ويصف الباحث التغير الاجتماعي بأنه ظاهرة تتعرض لها المجتمعات بصفة مستمرة سواء بالبناء الاجتماعي أو المظاهر الثقافية أو أنماط العلاقات الاجتماعية، وهو مرتبط بالزمان والمكان، ويختلف من مجتمع لآخر، وإما أن يكون تلقائي متأثر بقوانين التطور الاجتماعي دون تدخل الإنسان أو مقصود ويخطط له الإنسان بفكرة وعلمه، ويوجد صور للتغير الاجتماعي ثلاث هي التحول بالتطور – التقدم، التقدم يكون التغير للأمام فقط، والتطور يكون التغير نحو النمو الأكثر تعقيداً سواء كان سلبى أو إيجابي، أما التحول فهو تغيير اجتماعي مستمر الحركة في أتجاه واحد أما نحو التقدم أو التخلف، إلى الأمام أو للخلف، إلى أعلى أو لأسفل.

الفصل الثاني: الاتجاهات النظرية التي فسرت المواقع الطبقية للطبقة الوسطى برؤى مختلفة

أولاً : الاتجاهات المادية الماركسية الكلاسيكية والجديدة

أ -الاتجاه المادي الماركسي الكلاسيكي Marxist classic

يأتي كارل ماركس في مقدمة رواد هذا الاتجاه، فهو أول من أستخدم المنهج المنظم في دراسة الطبقات بهدف الوصول إلى القوانين التي تحكم التطور الاجتماعي. ولقد جعل ماركس من الطبقة الاجتماعية مدخلاً أساسياً لتحليل المجتمع وتحولاته، وإن كان بعض العلماء المعاصرين قد عارضوا الكثير من مقولاته حول الطبقة

الاجتماعية، إلا أنهم وجدوا أنفسهم في حوار دائم بحيث كان من الصعب عليهم تجاهل المقولات الماركسية. حيث يرى أن الطبقات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمراحل تاريخية معينة في تطور عملية الإنتاج، وأنها تنشأ مع نمو القوى الانتاجية، نتيجة الانفصال بين الإنسان وإنتاجه، فيحدث أن يمتلك بعض الأفراد وسائل الانتاج، فتصبح لهم السيطرة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بينما تحرم غالبية الافراد من الملكية، فتضطر إلى بيع قوة انتاجها للأقلية المسيطرة. أي أنه يميز بين الطبقات على أساس اقتصادي متعلق بنمط الإنتاج السائد، بحيث يوجد دائماً على مر التاريخ طبقة مهيمنة وطبقة مهيمن عليها، وبين الطبقة المهيمنة والمهيمن عليها يضع ماركس طبقة ثالثة وسطى أطلق عليها اصطلاح البرجوازية الصغيرة، ولعل أهم هذه السمات خلق علاقات رأسمالية داخل الإنتاج، وما يترتب على ذلك من تقسيم اجتماعي اقتصادي بعينه للعمل، ونمو علاقات ذات طبيعة نوعية بين العمل ورأس المال **(William.1984.p.489).**

يقول "ماركس إن الذي يميز عصرنا الحاضر، عصر البرجوازية، هو أنه جعل التناحر الطبقي أكثر بساطة، فإن المجتمع آخذ في الانقسام أكثر فأكثر، إلى معسكرين فسيحين متعارضين، إلى طبقتين كبيرتين، العداء بينهما مباشر، هما البرجوازية والبروليتاريا". وقد درس "ماركس" الطبقة بوصفها طبقة في ذاتها، أي بوصفها جماعة يشترك أفرادها في موقف اقتصادي واحد، وحاول الكشف عن كيفية تحولها حتى تصبح طبقة لذاتها، أي الكشف عن كيفية وعي هذه الطبقة بمصالحها. فالأولى لا تعي أهدافها الطبقية، وأما الثانية تشير إلى إدراك الطبقة لوضعها ويبلور وعيها بمصالحها الحقيقية واهتماماتها المشتركة، فتعي أهدافها الطبقية، وتتحرك من أجل الدفاع عن مصالحها(بوتومور.١٩٩٣.ص٢٧١). وأن لا وجود لطبقة البروليتارية ما لم تنظم صفوفها في حزب أو تنظيم سياسي مستقل يعمل على تحقيق أهدافها التي تسعى إليها، ومن ثم يتم حسم نتائج الصراع لصالحها في نهاية الأمر **(2001.p.175.**

Taylor). وهذا ما يقصده بقوله بتحويل الطبقة في ذاتها إلى طبقة لذاتها، عندما تصبح هذه الطبقة على درجة كبيرة من التوحد في الصراع بوصفها طبقة لذاتها، أي عندما تصبح المصالح التي تدافع عنها مصالح طبقية. وحقيقة أن ماركس لم يقدم اطلاقاً نظرية منهجية متكاملة في الطبقات على الرغم من أنه يمكن أن يقال بحق (كما لاحظ لينين) أن كل ما كتبه "ماركس" كان متصلاً بموضوع الطبقات على نحو أو آخر. وإذ ننتقل إلى تصور "لينين" فمن الثابت أن التفسير المادي التاريخي للطبقات الاجتماعية لم يتبلور على يد "ماركس" و"انجلز" قدر ما تبلور على يد "لينين". فلقد توفي الأول قبل أن ينجز تحليله للطبقات الاجتماعية في مخطوط الجزء الثالث من كتابه رأس المال دون أن يكتمل. واذا كان "ماركس" لم يضع تعريفاً محدداً للطبقة**(Wright.1980.p.323).** فإن قراءة أعماله لا تكشف عن تعريف ثابت يستخدم بصورة دائمة وبمعنى واحد محدد عبر تلك الأعمال. فأن "لينين" قد أخذ على عاتقه تأليف العناصر الأساسية في إدراك ماركس للطبقة في تعريفه للطبقات الاجتماعية بأنها "جماعات من الناس تحتل مواقع متماثلة نسبياً في نظام الإنتاج الاجتماعي"(عبد المعطي. ١٩٩٥. ص٢٤١). وقام "لينين" بتوظيف هذا التعريف في دراسة الاوضاع الطبقية في مجتمعه عن طريق الربط بين طبيعة الأشكال الإنتاجية والبنية الطبقية السائدة، وقال في ذلك "إن أشكال الاقتصاد الاجتماعي السائدة هذه هي: الرأسمالية، والانتاج الصناعي الصغير، والشيوعية، وهذه القوى الأساسية هي البرجوازية والبرجوازية الصغيرة(لا سيما جماهير الفلاحين) والبروليتاريا"(لينين. ١٩٧٦.ص٣٨٧-٣٨٨). أما عن تصوره للبرجوازية الصغيرة فيرى أنها شريحة بين طبقتي المستغلين والعمال وتتكون من الملاك الصغار، وهي بمثابة(نصف بروليتاريا ونصف ملاك)(فلاديسلاف.١٩٩١.ص٢١). ومن الواضح أن هذا التعريف يسمح بتوصيف حصري للبناء الطبقي في المجتمعات المعروفة تاريخياً، وبخاصة في المجتمعات الرأسمالية. ولذلك أصبح هو التعريف القياسي لدى الماركسيين.

ب -الاتجاه المادي النقدي الماركسي الجديد: أن ظهور الطبقة الوسطى وهي الفئة التي يطلق عليها أغلب الباحثين "الطبقة الوسطى الجديدة" وأعضاء هذه الطبقة يتسمون بخصائص تجمع بين الخصائص التي تميز الطبقة البرجوازية، وتلك التي تميز الطبقة العاملة. فهم، مثلهم مثل الطبقة العاملة، لا يملكون وسائل الإنتاج، كما أنهم يبيعون قوة عمله إلى الطبقة البرجوازية. لكنهم، على خلاف الطبقة العاملة، يتمتعون بدرجة ما من درجات الاستقلال، في بيع قوة عملهم، كما أنهم يتحكمون، مثلهم، في ذلك، مثل الطبقة البرجوازية، في الطبقة العاملة خاصة في النواحي الإدارية والإشرافية. ويشتركون مع هذه الطبقة في انتزاع فائض القيمة من الطبقة العاملة. إن أوضاع هذه الطبقة، من ثم، تجمع بين صفات تخص الطبقة البرجوازية، وصفات تخص الطبقة العاملة، لذا فإنهم يحتلون وضعاً بينياً داخل البناء الطبقي للمجتمع الرأسمالي**(Val Burris.1980. p.p. 17-18)**. وهذا مما دفع بأصحاب الاتجاه المادي النقدي إلى الاهتمام بدراسة هذه الطبقة.

أما " برشتين " وهو من الماركسيين الذين نشطوا بعد "ماركس" و "أنجلز" ، يرى أن الطبقات الوسطى تقع بين البرجوازية والبروليتاريا وتنمو علي الدوام، وأن تطور الرأسمالية يدعم الديمقراطية، وخاصة الدولة الديمقراطية التي تعلو علي الطبقات. أما " كاو تسكي " وهو أيضاً ماركسي عاصر "برشتين " ميز بين ثلاث طبقات: البرجوازية ، والطبقة الوسطي ، البروليتاريا ، ورأى أن بعض عناصر الطبقة الوسطي يدور حول البرجوازية، والبعض الأخر يدور حول البروليتاريا. وقد أتفقا كلاً من "برشتين" و"كاوتسكي" إلى زيادة أهمية الطبقة المتوسطة في الفترة التي تبلغ فيها الرأسمالية ذروتها ، ففي الطبقة الوسطي يؤدي جماعة المفكرين دوراً خاصاً، فمنهم من يتجه نحو البروليتاريا، ومنهم من يتشبث بالطبقة البرجوازية، وأن الطبقة الوسطي تزداد عدداً وقوة بشكل مستمر، وهذا فيه خطر، لأنها تؤخر ديكتاتورية البروليتاريا.

وفي هذا المجال يشير "بولانتزاس" إلى أن القضية الحقيقية التي يطرحها "ماركس" بصدد التكوين الاجتماعي، هو أن الواقع يفصح عن وجود "تكوين اجتماعي محدد تاريخياً". وهذا التكوين ذاته هو وحدة مركبة، يسيطر فيها أسلوب معين للإنتاج على أساليب الإنتاج الأخرى التي يتألف منها هذا التكوين. يؤكد "بولانتزاس" أن هناك اعتبارين لأدراك الطبقة وهما: الأول، لا يمكن النظر للطبقات الاجتماعية بمعزل عن التكوين الاجتماعي العام للمجتمع، حيث يحتوي أي تكوين على عدة أنماط إنتاجية، وليس على نمط واحد، وعلى أبنية مختلفة، كالبناء السياسي والاجتماعي والايديولوجي، ومن هنا لا يمكن تعريف الطبقة على أساس نمط الإنتاج السائد في التكوين الاجتماعي، مثلما يكون المستوى الاقتصادي هو المتحكم في نمط الإنتاج كما في الرأسمالية، ومن ثم يتخذ كمعيار لتحديد الطبقة. الثاني، أن الملكية الخاصة لوسائل الانتاج تلعب دوراً هاماً في توحيد مصالح عدة طبقات من أنماط انتاجية مختلفة مثل مصالح كبار ملاك الأراضي في توحيد مصالحهم مع الرأسمالية الصناعية أو التجارية أو المالية. ونظراً لتواجد أكثر من نمط إنتاجي واحد للمجتمع، وينتهي بولانتزاس من كل هذا إلى القول بأنه لا وجود لأشكال أو نماذج خالصة للإنتاج أو نفيه تماماً**(N.Poulantzas.1987.p.p .14-24)**.هكذا ينتهي "بولانتزاس" إلى التأكيد على أن الطبقات الاجتماعية لا تتحدد من خلال المستوى الاقتصادي وحده، بل أيضاً في إطار تكامله مع المستوى الاساسي والايديولوجي. علاوة على ذلك حاول "بولانتزاس" تحديد الشكل الذي تكون عليه الطبقات في تكوين اجتماعي معين نظراً لأنه أحياناً ما تؤدي سيادة أو سيطرة أسلوب إنتاجي معين في تكوين اجتماعي محدد إلى عدم وضوح المعالم المحددة للطبقات في أساليب الإنتاج الخاضعة.

أما" أرون ريمون " يرى أن المجتمعات الصناعية الحديثة أعقد بكثير من الثنائية التي طرحها ماركس، وذلك لانخفاض حدة العداوة الطبقية، وجاء ذلك من خلال التوسع في نطاق الخدمات الاجتماعية، لتشمل كافة المستويات الاجتماعية، وإعادة

توزيع الدخل والثروة من خلال فرض الضرائب التصاعدية، كما شهدت هذه المجتمعات طبقة وسطي تزداد تجانساً، وتضم نسبة كبيرة من العمال الصناعيين المهرة الذين يحصلون علي دخول عالية، تمكنهم من اكتساب الرموز الطبقية المعبرة عنها(ريمون آرون.١٩٨٣.ص٤٥).

ويرى "هل **Hull**" أن نمط الإنتاج يُعد بمثابة مصفوفة تحليلية أو تصورية تمكننا من التفكير بشكل منتظم في فهم تلك الأبنية التي من خلالها يستطيع الأفراد في ظروف تاريخية محددة أن ينتجوا أو يعيدوا إنتاج حياتهم المادية الخاصة بهم**(Hull.S.1979.P.57)**. وفي ضوء ما عرفه "هل **Hull**"، الذي يشير إلى أن تجليات الطبقة تظهر عبر الوجود الاقتصادي للطبقة، بينما يتسم الصراع بين قطبي التناقض بطابع اقتصادي، كما أن التوزيع غير المتكافئ للثروة الاقتصادية، وما ينجم عنه من تمايزات تابعة، يشكل الأساس السوسيو–اقتصادي للطبقات الاجتماعية **.(Hull.S.1979.P.29)**

أما جورج لوكاش، فيرى أن الطبقة هي أساس نشأة وتطور أبنية التكوين الاجتماعي، كما يعتبرها صانعة التاريخ ووراء كل الأحداث والتطورات التي حدثت في الأبنية الاجتماعية في المجتمعات المختلفة، كما أولى اهتمامه بالطبقة السياسية لإدراكه مدى قدرتها على التغيير، ويرى لوكاش أن قضية الوعي الطبقي، هي التي تحدد مدى قدرتها على التغيير، ويرى لوكاش أن قضية الوعي الطبقي، هي التي تحدد مدى سيطرة طبقة معينة انطلاقاً من مصالحها الذاتية ووعيها الطبقي(لوكاش.١٩٨٢.ص٥١).

نجد أن(كارشيدي **Carshedy**) يعود مرة أخرى للتأكيد على نقطة مؤداها أنه على الرغم من أن الطبقة الوسطى لا تملك رسمياً رأس المال، إلا أنها هي التي تحوزه على المستوى الواقعي وتسيطر كلية، وبالتالي فهي تقوم بإنجاز الوظيفة العمومية لرأس المال(على المستوى العالمي) دون أن تملك رسمياً أو قانونياً وسائل الإنتاج،

يكون إنجازها لهذه الوظيفة مقروناً بالعمل الجمعي في تلك التنظيمات والشركات المتعددة الجنسيات أو التي تضم داخلها عدداً ضخماً من العمال، ومن ثم تتصف أعمالهم بالطابع الجماعي.

وقام "ايريك رايت **E.O.Wright** " بنقد أفكار بولانتزاس وتطويرها، وقسم المجتمع الحديث إلى ثلاثة طبقات كبيرة هي "البرجوازية الرأسمالية والبرجوازية الصغيرة والبروليتاريا، وبين كل طبقة وأخرى توجد مجموعات او فئات اجتماعية اخرى" **(Wright Eric Olin.1982.p.112)**. وفيما يتعلق بالطبقة الوسطى، يذهب "رايت" إلى أن هذه الطبقة تشترك في بعض التناقض على موقع الطبقة الوسطى Contradictory Class Position ، لأنها "تمتلك خصائص علائقية لطبقتين مختلفتين تمام الاختلاف**"(Wright Eric Olin.1982.p.113).**

ثانياً: الاتجاهات البنائية الوظيفية الكلاسيكية والجديدة

أ -الاتجاه البنائي الوظيفي في صورته الكلاسيكية

ينظر فيبر إلى التدرج الاجتماعي **(Social Stratification)** القانون الذي يرتب الطبقات على أساس الهيبة والمكانة الاجتماعية**(Status Ranking)** التي تحددها الثقافة السائدة، ويدلل على وجودها الدخل والتعليم وفرص الحياة وطرائقها، ويعزى هذا الاتجاه إلى "ماكس فيبرMax Weber"، الذي بين أن البعد الاقتصادي في دراسة الطبقات هو محدد أولي**(Primary Determinant)** إلا أنه ليس الوحيد، حيث أتجه تركيزه على مقدار الدخل بغض النظر عن مصادره، وعلى التعليم بغض النظر عن المحددات المجتمعية. ويرى فيبر أن التدرج على أساس الهيبة يعطي الفرصة لتكوين جماعات مكانة، تحظى بقدر كبير من احترام المجتمع ككبار الموظفين وطبقة النبلاء، أما الطبقات الوسطى، فتكتسب مكانتها–التي تختلف عن مكانة النبلاء—عن طريق مكاسبها التعليمية، ومكانتها الاقتصادية والثقافية وأوضاعها المهنية. ينهض

التصور الوظيفي على أفكار ماكس فيبر حول الموضوع. وأهتم فيبر بفكرة القيم التي تضم أشياء كثيرة بدون أن يفعل دور العامل الاقتصادي، "حيث لم يتجاهل فيبر قيمة الثروة كأهم محددات الوضع الطبقي في المجتمعات الحديثة"**(Henry.1995.p.38).** ونلاحظ بوضوح أسبقية فيبر في النظر إلى أسلوب الحياة، وتعقد الحياة الحضرية وتنوع أنماط الاستهلاك التي ينتج عنها "تعقيد أكبر في تقسيم العمل لمواجهة هذا التنوع، ولتلبية الحياة الحضرية المتجددة" **(Henry.1995.p.37).**

ومن هنا يقسم "فيبر" البناء الطبقي إلى طبقة مالكة، وطبقة عاملة تخضع لاستغلال مباشر من جانب الرأسماليين، ثم يطرح طبقة ثالثة، وهي الطبقة الوسطى، والتي تضم فئات عديدة كالتجار، ورجال البنوك والمال، والمنظمين، وأصحاب المهن الفنية العليا، ما يميز هذه الطبقة، هو تمتع أفرادها بمهارات تمكنهم من شغل أوضاع اجتماعية متميزة. يرى "ماكس فيبر" أن التدرج الاجتماعي في المجتمعات الصناعية الحديثة، يزداد تعقيداً لسبب أتساع نطاق الطبقة الوسطى، والتي تضم البيروقراطيين والمديرين والضباط الذين يمارسون سلطات سياسية من خلال أوضاعهم المهنية لا ملكيتهم الإنتاجية. وبناء على ذلك يتضح أن الاتجاه البنائي الوظيفي في دراسته للواقع الاجتماعي يعتمد أساساً على النظرة إلى المجتمع باعتباره نسقاً كلياً حقيقياً يتألف من وحدات جزئية عديدة هي النظم الاجتماعية المختلفة، وهذه النظم ترتبط ببعضها البعض في شكل بناء متماسك، ولكل منها أنشطة تؤدي وظائف وأدواراً، وتؤدي هذه الأدوار إلى حدوث التفاعل والتداخل فيما بينها داخل النسق الاجتماعي العام. وبذلك يتضح أن "النسق الاجتماعي يمثل نسقاً حقيقياً، تؤدي أجزاؤه وظائف أساسية لتأكيد الكل وتثبيته، وأحياناً اتساع نطاقه وتقويته ومن ثم تصبح هذه الأجزاء متساندة ومتكاملة على نحو ما" (تيماشيف. ١٩٨٢.ص٣٢١). إن فيبر يحاول النظر إلى الطبقة الاجتماعية "نظرة تاريخية دون أن يغفل السياق الثقافي الذي يعطى لطبقة ما تفردها التاريخي" **(P.S. Parker. 1998. p. 240).**

ب -الاتجاه البنائي الوظيفي في صورته الجديدة

أن التدرج الاجتماعي أو الترتيب التفاضلي للأفراد بناء على بعض الجوانب المهمة من الناحية الاجتماعية كما عرفه تالكوت بارسونز يشكل رابطه أساسية بين الفاعل الفرد والنظام الاجتماعي، ذلك الفاعل الذي يأتي فعله في ضوء موجهات للفعل أو معايير تحكمه، تكون مرغوبة اجتماعياً. وكما قال بارسونز أن أهم هذه المعايير التي يتم تصنيف أو تقييم الفرد بناء عليها هي الروابط والمؤهلات الشخصية والإنجاز والملكية والسلطة والقوة وأن مكانة أي فرد داخل نظام التدرج الاجتماعي تعد نتاجاً للتقييمات العامة التي تشكل مكانته داخل هذه المجالات. أستخدم بارسونز مفهوم التدرج الاجتماعي بدلاً من الطبقة الاجتماعية، ونظرة "بارسونز" للتدرج الاجتماعي تنحصر في أنه ظاهرة طبيعية، لأن النظام الاجتماعي لا يمكن أن يقوم على المساواة المطلقة بين الناس، واعتبرها بارسونز أمراً طبيعياً بل من الصعب الاستغناء عنه، لأن التدرج الطبقي هو شرط أساسي من شروط تحقيق التوازن الاجتماعي داخل المجتمع. ولم يهتم "بارسونز" بالطبقة الاجتماعية في أعماله الأساسية، ولكن أهتم بها في أعماله الثانوية. حيث أنطلق "بارسونز" في تحليله للطبقات والصراع الطبقي من خلال نقده الموجه إلى "ماركس" في تحليله للبناء الطبقي في المجتمع الرأسمالي. كما أعترض بارسونز اجتماعياً، على مفهوم الطبقة عند "ماركس" على اعتبار أنه يصفها بشكل يوحي أنها "فئة" مغلقة اجتماعياً، ولا تملك الفرصة لتحسين أوضاعها الاجتماعية، أو الارتقاء بها إلى وضع أفضل في السلم الاجتماعي.

أما " ما نفرد هالبيرن" قد أستخدم تعبير الطبقة الوسطي الجديدة للإشارة إلى الجماعات الطبقية التي تكونت خلال المشروعات التنموية الجديدة ، فالتوسع في التعليم ، قد أدى إلى ظهور جماعات طبقية جديدة، كما أن النمو الصناعي خلق بدوره جماعات طبقية جديدة، لم تكن معروفة على هذا النمو من قبل، وكذلك

مشروعات إعادة توزيع ملكية كبار الملاك واستصلاح الأراضي الجديدة قد أديا إلى ظهور طبقة جديدة من صغار ومتوسطي ملاك الأراضي الزراعية.

مما تقدم، تستند البنائية الوظيفية إلى أبعاد متعددة في تحديدها للطبقة الاجتماعية أهم هذه الأبعاد، القوة والمكانة والبعد السيكولوجي والعامل الاقتصادي، وتركز البنائية الوظيفية على بُعد المكانة، باعتباره أهم دعامات تصنيف الطبقات، ومن السهولة إدراك الموقف المناهض للماركسية من قبل البنائية الوظيفية، فالوظيفية تركز على التوازن والاستقرار والتناغم والثبات الاجتماعي، بينما تركز الماركسية على قضية الصراع الطبقي.

وعن أحدث نظرية في بنية وسياسة الطبقة الوسطى ذات الأشكال المتعددة والمتنوعة، التي تؤكد على أن الشريحة الجديدة للعاملين بأجر والذين يقومون بالعمل الذهني يزدادون داخل هذا النظام، وتأتي أهمية هذه الشريحة والتي تتمثل في حائزي المعرفة مثل (التكنوقراط–العلماء–العمال المهرة) في أنها تمثل قوى الإنتاج وتحتل الوضع الحيوي–المحوري– الذي كانت تحتله الطبقة العاملة اليدوية(**Carolyn. 1992. P.25-26**).

تعتبر نظرية الطبقة الجديدة من جانب آخر هي الوحيدة التي تضعهم في الموقع الطبقي لملاك الإنتاج حيث تفصلهم عن الطبقات الرئيسية وتعطيهم مصالح ايديولوجية وسياسية متميزة، أما الطبقة العاملة الجديدة وأرستقراطية العمال يمثلون حائزي المعرفة داخل الطبقة العاملة. تنطلق الفكرة الأساسية لنظرية الطبقة الجديدة من اعتبار أن شريحة حائزي المعرفة كشريحة طبقية تلي الطبقة الرأسمالية ولديها قدرة كبيرة لإحداث التغير الاجتماعي عن أي طبقة أخرى ولها مصالحها المختلفة عن مصالح أي طبقة أخرى. وأصبحت المعرفة هي التي تمثل قوى الإنتاج للرأسمالية الحديثة. وتعتبر هذه الطبقة أن حائزي المعرفة هم برجوازية صغيرة جديدة لأنها ليست جزء من الطبقة الرأسمالية أو الطبقة العاملة ولها مصالحها المشتركة مع البرجوازية

الصغيرة التقليدية لتبرز بأنها قسم جديد في هذه الطبقة، ويعتبر بولانتزاس هو المؤيد الرئيسي لنظرية البرجوازية الصغيرة الجديدة فهو يعرف هذا القسم الطبقي بأصحاب العمل الذهني الذين يساعدون على بقاء العلاقات السياسية للاستغلال ودعماً لإعادة إنتاج العلاقات الايديولوجية داخل عمليات الإنتاج المادي. وتشمل أيضاً المدرسين والصحفيين والعمال. ويضمن بولانتزاس البرجوازية الصغيرة الجديدة ذلك العامل غير المنتج أو يشارك في المحافظة الجديدة ذلك العامل غير المنتج أو يشارك في المحافظة على العلاقات الاقتصادية والايديولوجية والسياسية للرأسمالية، وطبقاً لهذا التعريف فعملياً تعتبر كل حائزي المعرفة يجب أن يشتركوا في البرجوازية الصغيرة الجديدة.

يتفق "ستريامانتسكي" مع بولانتزاس على الأسباب التي من خلالها ضمن حائزي المعرفة في البرجوازية الصغيرة، ولكن يتفق معه على الموقع الفعلي لهذه الشريحة، ويقول "ستريامانتسكي" أن علاقات الإنتاج فقط يجب أن تستخدم لتعيين الموقع الطبقي. ويرجع البناء الأساسي البنائي لنشأة البرجوازية الصغيرة إلى تقسيم العمل الذهني اليدوي ونمو واندماج الرأسمالية الاحتكارية أدى إلى تضخم عنيف لشرائح البرجوازية الصغيرة الجديدة المتمثلة في العلماء والمدرسين وعمال الخدمات**(41-38 Carolyn. 1992. P.)**.إن البرجوازية الصغيرة الجديدة لديها مستوى عال من الاستقلال الوظيفي الناجم عن ملكيتها للعلاقات الاقتصادية والسياسية وهذا حولها إلى الاستقلال على المستوى الايديولوجي.

ويضع منظرو الطبقة العاملة الجديدة شريحة حائزي المعرفة في مقدمة الطبقة العاملة لأنهم كعاملين بأجر وكمفكرين في منزلة البروليتارية حيث يحتلون نفس علاقة الملكية بوسائل الانتاج. ويفهم من هذا أن المديرين ذوي المستوى المنخفض يصنفون ضمن الطبقة العاملة. ويرجع الأساس البنائي لتطور الطبقة العاملة الجديدة إلى احتياجات الرأسمالية لتقنيات متقدمة ومصاحبة لانتشار التعليم العالي**(41-38 Carolyn. 1992. P.)**.

ونأتي إلى حائزو المعرفة كشريحة تحتل موقع طبقي متناقض، إذ نرى أن بعض الفئات من العاملين بأجر يقعون على حدود الطبقات الرئيسية وقد طور هذا المدخل على يد أولين رايت ، حيث يحتل حائزو المعرفة في المفهوم الأساسي لـ "رايت" موقع طبقي متناقض على مستوى علاقات الإنتاج، بينما معظم العاملين بأجر لا يدخلون ضمن الطبقة العاملة لما يتمتعون به من درجة عالية من الاستقلالية في عملهم وتحكمهم في وسائل الانتاج الفكري. فهذا يجعلهم أكثر تشابهاً بالبرجوزاية الصغيرة على مستوى العلاقات الاجتماعية للإنتاج **(Carolyn. 1992. P .44-46).**

وتختلف نظرية المواقع الطبقية المتناقضة عن نظرية البرجوازية الصغيرة الجديدة في أنها لا يكفي العمل الذهني لاستثنائها من الطبقة العاملة. إن الأساس البنائي لنشأة حائزي المعرفة كشريحة تحتل موقع طبقي متناقض، يرجع إلى التطور المعقد للرأسمالية والتي تحتاج دائماً إلى تقنيات متطورة للتحكم الايديولوجي والسياسي في الطبقة العاملة والسيطرة عليها وبما أن حائزي المعرفة يحتلون موقع طبقي متناقض في العلاقات الطبقية، فهم ليست لديهم سياسات أو ايديولوجية موحدة ولديهم سياسات طبقية متناقضة. فيصنفون أنفسهم تارة ضمن الطبقة العاملة–وثانية ضمن الطبقة البرجوازية– وأخرى ضمن الطبقة الرأسمالية.

وعند عرض الإسهام النظري للنظرية الماركسية و النظرية الوظيفية يذهب كثير من الباحثين إلى اعتبار أن إسهام إحداهما قد جاء رد فعل لإسهام الأخرى، بمعنى أن الإسهام الذي قدمته النظرية الوظيفية، داخل النظرية السوسيولوجية بشكل عام، وفي التحليل الطبقي بشكل خاص، قد جاء كرد فعل للنظرية الماركسية**(Michael.1994.p.18).** وينسحب هذا الحكم على إسهامات ماكس فيبر و تالكوت بارسونز، فعلم الاجتماع الفيبري يمثل امتداداً للحوار مع "شبح كارل ماركس"، كما أن نظرية تالكوت بارسونز تعد استجابة أمريكية للنظرية الماركسية(زايد.١٩٨٤.ص٩٣). وعلى الرغم من جوانب هذا الخلاف إلا أن القاسم

المشترك الأعظم بين هؤلاء الرواد، هو الاهتمام بالطبيعة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للرأسمالية، حيث شكلت هذه الطبيعة محوراً أساسياً من محاور اهتمامهم. على اختلاف منطلقاتهم وتنوع رؤاهم، وتم النظر إلى الجوانب الاقتصادية لنشأة الرأسمالية مثل نمو الأسواق، والتجارة في الحاجات المادية، وتحريك رأس المال، تم النظر إليها بوصفها نتاجاً لعوامل اجتماعية وسياسية (**N.Poulantzas. 1987.p. 489).**

الفصل الثالث: نحو مدخل سوسيولوجي لدراسة الطبقة الوسطى في العراق

أولاً: تشكل الطبقة الوسطى في العراق

عندما أحتل الإنجليز العراق وانهزمت الدولة العثمانية، لتبدأ فترة الحكم الملكي التي يمكن اعتبارها بداية تحديد الحقبة التاريخية لنشأة الطبقة الوسطى في العراق إذ شهدت ما يمكن أن نطلق عليه ميلاد الطبقة الوسطى العراقية لأن قيام الدولة العراقية الحديثة بمؤسساتها قد مهد الأرض لنمو الطبقة الوسطى. فالطبقة الوسطى ولدت في رحم ملكية تقليدية، نتيجة زج العراق في حركة السوق الرأسمالي العالمي بعد الاحتلال البريطاني للعراق. وقبل ذلك أيضاً، كما يرى "حنا بطاطو" من إمكانية تأشير عوامل أخرى بهذا الصدد، منها دخول التقنيات الجديدة في الحياة العامة، مثل دخول السفن البخارية النهرية (١٨٥٩) والبرق الكهربائي (١٨٦١)، إلى جانب فتح المدارس الحكومية (١٨٦٩) وأخيراً تطور الصحافة بعد ١٩٠٨(**Hanna .1978.p.105 Batatu**). وأيضاً مجيء الملك وأبنائه(الملك فيصل الأول، الملك غازي، حكم الأمير عبد الإله والملك فيصل الثاني) من بعده ظلوا في الحكم ما يقارب سبعة وثلاثين عاماً، والذي أتخذ مجموعة من التدابير سواء في بناء جيش وأسطول ومدارس وإرسال بعثات للخارج والاستعانة بالأجانب للمساعدة في بناء العراق الحديث، كل هذه الإجراءات أفضت إلى التحسن الواضح في أوضاع هذه الطبقة إبان فترة الحكم الملكي لأن فرص التنمية تعمل على دفع الحراك الاجتماعي إلى أعلى، وعلى إثر

ذلك تعزز القطاع الخاص ونشطت التجارة فحصل حراك اجتماعي ملموس. وعلى الرغم من توافر الفرصة لنمو الطبقة الوسطى في الدولة العراقية الحديثة لكنها كانت في معظمها ساندة للاحتلال البريطاني، ومن ثم النظام السياسي الملكي العراقي، للحصول على امتيازات مالية ومناصب وزارية ونيابية، باستثناء بعض شريحة من المثقفين التي دعت إلى قيام نظام ومجتمع سياسي وديمقراطي(حافظ. ٢٠٠٩. ص٣٢٠). هذه الطبقة الوسطى أخذت على عاتقها مهمة قيادة التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ومع تحسن وضعها المادي توضحت أبرز سماتها.ولقد جاءت نشأتها وتطورها بخلاف مثيلاتها بالمجتمعات المتقدمة صناعياً، ومن ثم ارتبطت بنظم التعليم الحديث التي عرفها المجتمع العراقي أبان السيطرة الاستعمارية وما نتج عنها من احتكاك بالثقافات الأوربية. علاوة على ارتباطها بعمليات التحديث الاجتماعية والاقتصادية، وما حدث من تطورات سياسية كانت أو اقتصادية داخلية أم خارجية تفاعلت مع بعضها وانعكست على مكوناتها الطبقية.

تطورت الطبقة الوسطى بشكل كبير بعد ظهور الدولة العراقية وذلك بسبب انتشار التعليم وظهور المدارس والكليات فضلاً عن تطور المؤسسات الطبية ، ونقلت المجتمع العراقي من حالة الركود والعزلة التاريخية فضلاً عن البنى الاجتماعية المتخلفة إلى مجتمع يتأهب الدخول إلى التاريخ الحديث، وتتداخل هذه الطبقة الاجتماعية وتنشطر مكوناتها على أسس أثنية ودينية وطائفية تتقاطع مع التمايزات الاجتماعية.وهذا ساعد على تنامي بدايات مؤسسات المجتمع المدني ودولة القانون وتطور الطبقة الوسطى التي حملت على اكتافها التحديث والتقدم الاجتماعي. وبالطبع فإن البنية الطبقية في العراق لا تتميز، من حيث المبدأ، بالثبات، كون الطبقات في العراق كيانات غير مستقرة نسبياً، واتسمت بحركات دخول وخروج سريعين من وإلى الطبقات القائمة، أو حركات صعود وتدهور داخل الطبقات عينها. لذا فأن التدفق المفاجئ لأموال النفط بعد عام ١٩٥٢، وثورة ١٩٥٨، وهي نهاية الحكم الملكي في

العراق، وهي الحادثة التاريخية التي غيرت المجتمع إلى يومنا هذا، حيث بدأ المجتمع العراقي يشهد سلسلة من التحولات المتصلة والمتمايزة في نفس الوقت، اندلاع الانقلابات والانقلابات المضادة العديدة في الستينات. بتعبير آخر. نشأت قاعدة أخرى للطبقة الوسطى هي قاعدة العلاقات التجارية والاقتصادية والثقافية حيث أن فئات الأنتجلستيا العراقية كانت تقرأ الفارسية والتركية فقرأت كما تقول مدونات الثقافة العراقية الأدب العالمي وخاصة الروسي والإنجليزي عن طريق هاتين اللغتين فأحتل التجار الكرد الكثير من مواقع مهمة في الاقتصاد وفي السياسة. ظهر في الوقت عينه نوع آخر، جديد، من الفكر السياسي، وهو فكر الطبقة الوسطى المتعلمة، نما ذلك الفكر عند الاكاديمي والموظف والقاضي والمهني والصحفي وغيرهم، متأثراً بالأدب السياسي الاوروبي وبالمفاهيم الليبرالية والانسانية والتقدمية والاشتراكية والعلمانية التي كانت رائجة في ذلك الأدب، في صحفه ونصوصه الأكاديمية وفي الإذاعات، أضافة إلى المشاهدات الميدانية التي كان يتعرض لها الذين يزورون الغرب أو يدرسون فيه، أخذ هذا الفكر ينمو، ثم يتعاطف مع المعارضة الجدية داخل البرلمان وخارجه، وكانت المعارضة تستعين أحياناً بذلك في محاولة للتخفيف من وطأة التعسف الذي كانت تتعرض له بين حين وآخر (سنغلتون.١٩٩٩.ص١١).

لقد تطورت الطبقة الوسطى بشكل كبير بعد ظهور الدولة العراقية، وذلك بسبب أنتشار التعليم وظهور المدارس والكليات، فضلاً عن تطور المؤسسات الطبية، ولكن تسارع نمو الطبقة الوسطى أرتبط بالمؤسسة العسكرية التي شكلت المؤسسة الأبرز في حياة العراق السياسية، وذلك لحزمة من الأسباب تصدرها اعتبار الجيش الفصيل المنظم والمسلح القادر على إحداث التغيرات الاجتماعية. ففي مجتمع مثل العراق تتحول الكثير من الفئات إلى مواقع أخرى بفعل سياسة الدولة التي ترفع من شرائح على حساب أخرى، ولذا لم نجد لهذه الفكرة أن تستقيم في الأربعينات عندما بدأت حركة تنوير سياسية واقتصادية وثقافية تمثلت بقيام أحزاب وطنية، وبرلمانات

وحكومات وهكذا تأسست الكثير من الأحزاب والجمعيات كجمعية النهضة والحزب الوطني والحزب الدستوري وجماعة الأهالي.في هذه المرحلة أسست الطبقة الوسطى لنفسها مؤسساتها الدستورية والإنتاجية المتميزة والقادرة على التأثير في الشارع وفي القرارات العليا، وكان من نتائجها المباشرة حركة الضباط الأحرار في تموز عام ١٩٥٨ في العراق، وكلهم ينتمون الى الجناح العسكري للطبقة الوسطى المهنية الجديدة. وهم على خلاف مع بنية النظام القائم وسياسته(فيبي مار.٢٠٠٩.ص١٤). لتبدأ مرحلة البناء والتنمية، ولكن لم تترك القوى الاستعمارية لهذا البلد الاستمرار بمشاريعه التنموية، فخلقت له بؤر توتر كبيرة كان من نتيجتها هزيمة حزيران وصعود البعث للسلطة في العراق ليقضي على طموح الطبقة الوسطى العراقية التي بدأت بالفعل بعد تموز ١٩٥٨ بالتشكل العملي. فالاتجاه القومي ليس من مصلحته التمايز بين الفئات الاجتماعية وإن أدعى عكس ذلك، والدليل أن سنوات البعث في العراق كانت سنوات محاولة لأصهار كل الفئات السياسية والقومية في تنظيم حزب البعث. إذا ما تم تبويب التاريخ العراقي الحديث إلى مرحلتين الاولى منذ تأسيس الأول للدولة العراقية نجد أن الطبقة الوسطى العراقية كانت ذات ملامح شبه واضحة في العهد الملكي(١٩٢١-١٩٥٨)، من خلال صعود البرجوازيات المحلية، وفي المستويات كافة وبداية تشكل انتلجنسيا عراقية مبكرة لكنها بدأت تضمحل شيئاً فشيئاً في العهد الجمهوري الاول الذي بدأ في ١٩٥٨. وأنه حينما قامت ثورة ١٩٥٨ ، كانت النخبة المسيطرة هي نخبة الطبقة الوسطى أو المعبرة عن طموحاتها، ومن ثم وجدنا أن هذه النخبة السياسية تحاول الدفاع عن مصالح الطبقة الوسطى وتوسع مصالح هذه الطبقة لكي تشكل طبقة الأغلبية في المجتمع. حتى تصبح الإطار الذي يشكل ساحة عمل هذه النخبة، ولكي تقوم كذلك بالدفاع عن توجهات النخبة وتحمي سياساتها وإجراءاتها وكذلك تدافع عنها. وبصعود الطبقة العسكراتية برزت ظاهرة التريف في المدن ودخول العسكريين والمتريفين إلى هياكل ومفاصل الدولة العراقية واستحواذ الدولة التدريجي على مناحي الاقتصاد والاستثمار والتنمية وبداية ضمور الطبقة الوسطى واضمحلال

الانتلجنسيا الفاعلة والمتشاركة ضمن الطبقة الوسطى في البناء والإعمار والتثقيف والتعليم والتحديث وإرساء دعائم التطور والتقدم من خلال الكفاءات والتكنوقراط . وبقي المجتمع العراقي منقسماً إلى ريف وحضر لرفد الزراعة وبناء الدخل الوطني، ثم توسع السوق وتم انفتاح السوق العالمية على السوق العراقية، وبدأ الثراء يدخل ميزانية الدولة الملكية، فتوسع الانفاق الحكومي وتركز ذلك في المدن وبغداد بالذات لوجود الدولة ودوائرها فيها، كما أنها ضمت الملاكات المثقفة والمدربة الاقدر على ما وصلها من واردات النفط إلى إنجازات بلغت أوج تفوقها في تأسيس مجامع الأعمار في الخمسينيات من القرن الماضي. بعد أن تزايدت مدخولات النفط وارتفاع مستويات المعيشة في العاصمة والمدن وتعميق التفاوت بين الريف والمدن وفتح طرق اتصال قياسية ودخول السيارات العراق.

عملت الحكومة الملكية على توسيع قاعة التوظيف في الدولة ضمن الجهاز البيروقراطي إلى حد الترهل وقضم الجزء الاكبر من ميزانية الدولة التي يجب أن توجه للاستثمار والأعمار. وبذلك أتسع الهيكل الاداري للدولة، وأصبحت شريحة البيروقراطيين إلى جانب العسكريين أهم الشرائح المؤثرة في تغيير المجتمع.

ثانياً: فاعلية الطبقة الوسطى في مطلع الخمسينات والستينات: مؤشرات الأتساع وتحسن الوضع الطبقي.

في خمسينات وستينات القرن العشرين، احتلت مسألة تطور (الطبقات الوسطى) في بلدان العالم الثالث ومركزية دورها في التغير الاجتماعي مكانة أساسية في تفكير مؤلفين كثر (إليزابيث.٢٠١٢.ص٨١). وقد برز في هذه المرحلة دور جديد للنخب المثقفة والأحزاب والضباط الأحرار الذين لعبوا دوراً هاماً في الصراع السياسي بعد أن

نجحوا الاستيلاء على سلطة الدولة، والإمساك بزمام التكوين الاجتماعي، في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. معبرين بنجاحهم هذا عن تطلعات الطبقة الوسطى، التي ينتمي إليها أغلب قادة هذا الانقلاب. فما كان لهذا التحول السياسي أن يحدث لولا وجود فئات حققت وزناً ما في الحياة الاجتماعية الاقتصادية وتسعى إلى ترجمة هذا الوزن سياسياً، وبوصول الضباط الاحرار إلى السلطة، فقدت البرجوازية العراقية بجناحيها الزراعي والصناعي نفوذها السياسي والاجتماعي المؤثر عبر سلسلة من الإجراءات التي اتخذت لإرساء معالم النظام الجديد والتي كان لها تأثيرها الفاعل في أتساع قاعدة الطبقة الوسطى. فقد كانت الطبقة الوسطى تعرف بوصفها "محرك التحرر من الاستعمار والبناء الوطني"(إليزابيث.٢٠١٢.ص٨٢).

إن بروز هذه الطبقة يعود إلى ثلاثة أسباب، الأول هبوط عدد من أفراد المرتبة العليا إلى النزول إلى أدنى بعد مصادرة املاكهم وثرواتهم مما اضطرتهم الظروف للعمل في القطاع الحكومي المدني، والثاني ، صعود أفراد من الطبقة الدنيا إلى الأعلى و لا سيما بعد اهتمام الدولة بأحوال الفقراء حيث بذلت جهوداً كبيرة لتحسين الحالة المعيشية والسكنية لسكان الصرائف. والثالث هو دعم النظام السياسي لثورة ١٩٥٨ لهذه الطبقة و لا سيما أن بعض رجالات الثورة كانوا من ضمن هذه الطبقة، كما وأن أكثر المؤيدين لهذه الثورة كانوا من أفراد المرتبتين الوسطى والدنيا.

والأهم من ذلك كانت البعثات العراقية حتى ثورة ١٩٥٨ امتيازاً عراقياً غير منافس وكان للطلبة العراقيين من الذكور والإناث حضوراً قوياً في الجامعات الاوربية الغربية وجامعات الولايات المتحدة الامريكية، وهذه البعثات أعطت للعراق طبقة مفكرة(انتلجنسيا) مبدعة في العلوم والآداب والقانون والطب والتربية والفنون قوامها(٥٠٠٠) حامل شهادة دكتوراه وماجستير كانوا يعملون بجد على جعل نظامهم التعليمي أولوية وطنية عليا ضمن عمليات الأعمار العامة، فارتفعت ميزانية وزارة المعارف(التربية من ١١%) الى (٢٠%) من ميزانية الدولة عام ٥٧-٥٨ حيث

كانت هذه النسبة تمثل ثالثة بعد ميزانيتي وزارتي الدفاع والداخلية(عبد الجبار.١٩٩٥). كما تم اعلان قانون الأحوال الشخصية الجديد ساعد على تعزيز مكانة المرأة العراقية وحمايتها من تعسف الرجل**(Phep Marr. 1985. P.211)**. كذلك صدور قوانين الاصلاح الزراعي، حيث لم تؤد هذه القوانين إلى حل مشكلة الفلاحين المعدمين، بقدر ما أدت إلى تقليص النفوذ السياسي لكبار الملاك وتدعيم النفوذ السياسي والاجتماعي لمتوسطي وأغنياء الفلاحين. وعلى الرغم من أن هذه الشريحة توجد في الريف، فأنها تمثل أحد الموارد الاساسية للطبقة الوسطى. حيث تستطيع أن تقدم التعليم لأبنائها وتساعدهم، من خلال ذلك، في إحراز مكانة داخل الطبقة الوسطى وتجعلهم مؤهلين لاختيار الحكومة لهم في مراكز ذات مسؤولية، داخل أجهزة الدولة المختلفة. وأيضاً التوسع البيروقراطي، حيث أدت عمليات الأعمار والبناء والتوسع في التعليم والازدهار الاقتصادي إلى أنشاء العديد من المؤسسات البيروقراطية والاجهزة الحكومية. ونتج عن التوسع الهائل في حجم الجهاز البيروقراطي والإداري الحاجة إلى توظيف إعداد كبيرة من الجامعيين وخريجي المدارس الثانوية والمتوسطة في قطاع الإدارة والخدمات الحكومية. وقد أدى ذلك إلى النمو العددي للشرائح الوسطى التي تشكل الوظائف الفنية والمهنية وكذلك المراتب الدنيا المتوسطة من الوظائف الاشرافية.

فقوانين الاصلاح الزراعي وإجراءات التوسع البيروقراطي في الإدارات الحكومية، ومجانية التعليم وسياسات توزيع الدخول، واتساع قاعدة النقابات المهنية، كلها وغيرها، إجراءات أفضت إلى التحسن الواضح في أوضاع هذه الطبقة إبان فترتى الخمسينات والستينات. إذ أدى قانون الإصلاح الزراعي الصادر في الثلاثين من ايلول ١٩٥٨م، حاول القيام بإعادة توزيع واسعة النطاق لملكية الارض ووضع سقف لمدة إيجار الأرض. لغرض إعادة توزيع الدخل الريفي والحد من عدم المساواة الخطيرة في ملكية الارض. وتم بموجبه الاستيلاء على الملكيات الكبيرة من الاراضي الزراعية، وأدى هذا

القانون إلى استعداء شيوخ العشائر وكبار ملاكي الأراضي **(Fuad Baali. 1969.p.69)**.

وصعّد صدور قانون الأحوال الشخصية الذي سن في كانون الاول ١٩٥٩م، تعديلاً مهماً على قانون الأحوال الشخصية ينظم بموجبه العلاقات الأسرية، المحكومة تقليدياً بالشريعة الإسلامية.

من استفزاز المجتمع الديني، وأدى القرار رقم (٨٠) المتضمن سحب امتيازات شركات النفط الأجنبية الاحتكارية من جميع الأراضي غير المستثمرة(فيبي مار،٢٠٠٩،ص٣٨-٥٢).

بقيت الطبقة الوسطى في العراق في فترة نموها المتصاعد منذ الستينات معتمدة اعتماداً كبيراً على الدولة وبكلمات بطاطو(**Hanna Batatu.1978.**). فلم يكن من الممكن لأي رجل أعمال، كبيراً كان أو متوسطاً، أن يزدهر إلا اعتماداً إما على الدولة أو على الرأسمال الأجنبي. وبقيت هذه الحقيقة قائمة حتى مع بدء رحلة الليبرالية الاقتصادية، بما انطوت عليه من خصخصة**(Privatization)** وفك القيود الحكومية(عبد الجبار.١٩٩٥. ص١١٠).

أن مأزق الطبقة الوسطى العراقية الحقيقي يكمن في أنها صنيعة الدولة مما جعلها تابعة لها دوماً. إذ أن العلاقة بين الدولة والطبقة الوسطى عبر فترات تاريخية مختلفة سواء في فترة الدولة الملكية التي وضعت لبنات هذه الطبقة، عندما قامت لأجلها نظاماً تعليمياً مدنياً حديثاً، حيث يعود الفضل الأكبر لسياسات هذه المرحلة والتي تمثلت في مجانية التعليم وسياسة التوظيف الحكومي والإصلاح الزراعي والتأميمات وغيرها في توسيع حدود الطبقة الوسطى، وأيضاً في تغيير هيكلها تغييراً أساسياً، وذلك لصالح الشرائح والفئات الجديدة من البيروقراط والتكنوقراط مقابل تراجع وزن وتمثيل التجار والحرفيين. أما في حقبة ثورة تموز ١٩٥٨ وما تلاها، فإن الوضع أختلف تماماً. في حالة سيادة نمط رأسمالية الدولة فإن الدولة تحل محل الطبقة الرأسمالية

وتسيطر الدولة بصورة كاملة على ملكية أدوات الإنتاج وعلى قطاعات النشاط الاقتصادي الأخرى عن طريق فرض القوانين أو فرض ملكية الدولة مباشرة ولقد تطور نمط رأسمالية الدولة في العالم العربي تطوراً بيناً. أتت رأسمالية الدولة كنتاج لتحالف القمم العسكرية والبيروقراطية مع الطبقات الوسطى وبعض الشرائح من طبقة العمال والفلاحين، وحاولت الدولة في الفترة الأولى أن تنجز نوعاً من نمط النمو المستقل نسبياً عن النظام الرأسمالي العالمي، وخاضت في سبيل ذلك كثيراً من المعارك السياسية والاقتصادية ونجحت رأسمالية الدولة في تعميق التصنيع في المراحل الاولى وتعديل العلاقات الإنتاجية نسبياً في صالح الطبقات الوسطى وبعض الشرائح من الطبقات الشعبية، عن طريق سياسات أعادة توزيع الدخل وتوفير الدعم والخدمات الاجتماعية، ومن أهمها مجانية التعليم ودعم السلع الغذائية الأساسية. وبذلك أتسع الهيكل الإداري للدولة، وأصبحت شريحة البيروقراطيين إلى جانب العسكريين أهم الشرائح المؤثرة في تغيير المجتمع. وقد مكنت الثورة الطبقة الوسطى من الازدهار عن طريق منهجها في تعديل وتحسين الوضع الاجتماعي للطبقات الوسطى والدنيا عبر العديد من الإجراءات والسياسات من أهمها سياسات التأمينات الاجتماعية والصحية، ودعم المواد الاستهلاكية والضرورية. فالازدهار الكبير الذي شهدته الطبقة الوسطى قد تحقق من خلال الدور القيادي الذي لعبته الدولة في تحقيق عمليات التحديث والنمو الاقتصادي، ورفع مستوى المعيشة، واضطلعت بدور هام في بناء شبكة المرافق الاساسية، وزاد أنفاقها على التعليم والصحة والاسكان، كما لعبت دوراً محسوماً في إقامة وإدارة كثير من المشروعات الصناعية والزراعية. ونتيجة لطبيعة نظام الحكم القائم على نظام الحزب الواحد، فإن البيروقراطية العسكرية والبيروقراطية المدنية، كانت من أكثر الشرائح الاجتماعية الوسطى أفاده من هذا النظام، وكان لهما قوة سياسية واقتصادية مكنتهما من السيطرة على الحياة الاجتماعية في العراق. ولا شك في أن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية كان لها تأثير بالغ في تغيير الوضع الاجتماعي للطبقة الوسطى.

ثالثاً: نضج الطبقة الوسطى العراقية ومسار تطورها

خلاصة ما سبق فقد تحقق لهذه الطبقة حراكاً اجتماعياً واسع النطاق على كافة الأصعدة، وبالتالي فقد حققت تقدماً ملموساً على مستوى الثروة والسلطة معاً، فعندما قامت الدولة برعاية التعليم الحديث، الأمر الذي سمح بتأسيس بيروقراطية متماسكة تقوم على التخصص والتكامل الوظيفي، وقد شكلت هذه البيروقراطية الوعاء الأساسي للطبقة الوسطى الجديدة من عسكريين وموظفين وتكنوقراط ومهنيين ومن أنتلجنسيا محدودة العدد لكنها نشطة وحيوية فكرياً وسياسياً. وكانت الطبقة الوسطى، في هذه الآونة نامية العدد، شديدة الطموح مدركة بأهمية دورها، وقد تمخضت كل طموحاتها في الثلاثينات إلى ظهور أحزاب وقيادات تطلعت إلى المشاركة في السلطة، بل أن بعض فصائلها قد تطلعت فيما بعد ذلك إلى ما هو أكثر عندما تحول التطلع إلى طموح غير عقلاني للانفراد بسلطة الدولة دون أي شريك، أن الهيكل السياسي للطبقة الوسطى منذ حاولت الدخول في صراع السلطة، تجسد في عدد كبير من التنظيمات والأحزاب والتشكيلات، ولكن ونحن بهذا الصدد لابد من إدراك أن الطبقة الوسطى كانت تمثل تاريخياً العامل الأساسي الذي جعل الساحة السياسية في العراق، تتميز بكل هذا القدر من التوتر والازدحام، وأحياناً النشاط، وأحياناً أخرى تصاب بالتعقيد والميوعة والغموض والارتباك، وكيف كانت هذه الطبقة وسط كل هذه التداخلات تحتوي على بذور إخصاب لم تعطِ ثمارها بعد.

وعندما نأتي بشكل أخص إلى الفترة من ١٩٤١–١٩٥٨، نواجه ظاهرة غير معتادة، بغداد نابضة بنشاط لم تعرفه منذ أمد بعيد، طبقة متوسطة في نمو مستمر وقوية في قدرتها على التعبير عن آرائها، تعليم حديث ما زال ضئيل المحتوى ولكنه ينتشر بسرعة، طرق معبدة، وسكك حديد، وخدمات جوية تجتاح البلاد تدريجياً أكثر فأكثر، تجارة ما زالت مترددة ولكن بمزاج حي وكان هذا كله يتعايش مع بنية حديث الولادة **(Hanna Batatu .1978. p.105).** مع المزيد من أنشاء المدارس والتي ستدعّم

من قوة الطبقة الوسطى عبر زيادة وتراكم أعداد الفئات المتعلمة والتي سيكون مطلبها الأساس فسح المجال للمشاركة في السلطة وعدم قصره على أبناء الطبقة القديمة المتمثلة بشيوخ العشائر والضباط الشريفين وأبناء العائلات الميسورة الذين تلقوا تعليمهم في الجامعات الغربية الراقية**(Hanna Batatu .1978. p.105) .**

وفي هذه الفترة بدأ الفاعل السياسي للطبقة الوسطى في التشكل، وأستطاع أبناء الطبقة الوسطى دخول الجمعيات السياسية والأحزاب، نظراً لطموحهم الكبير في المشاركة السياسية، ولم تبقى الأحزاب السياسية حكراً على أبناء الطبقة البرجوازية. إذ كان ثمة أتجاه قوي من قبل الملك فيصل والدولة لتشجيع تأسيس أحزاب سياسية مبنية على أيديولوجيات عصرية حديثة أسوة بالأحزاب الأوربية، فقد كانت الأحزاب تعتبر نواة الدولة الديمقراطية الحديثة. وقد كان ثمة حزبان فاعلان في بغداد منذ العهد العثماني هما حزب العهد وحزب حرس الاستقلال، وكان الهدف الأساس لكلا الحزبين هو الدفاع عن مصالح العرب تحت حكم الأتراك.

وسمح الملك فيصل بإنشاء الأحزاب السياسية على النمط الأوروبي ففي ٢٥ حزيران ١٩٢٢ أصدر مجلس الوزراء قانوناً أجاز فيه تأسيس الأحزاب السياسية وإصدار الصحف والمجلات، وفي شهر آب من نفس العام تأسست ثلاثة أحزاب سياسية(الجادرجي. ١٩٧٠.ص٢٤-٢٥) [١].

استنتاجات وتوصيات الدراسة

أولاً / استنتاجات الدراسة Conclusions of the study

١- أن الطبقة الوسطى لم تعي التغيير الحاصل في تكون الدولة الجديدة، ولذا لم يكن لها دور فعال في السياسة وفي مختلف حالات التغير الحاصل ومواقعها، أو لم

[١] -الجادرجي. كامل. (١٩٧٠). **مذكرات كامل الجادرجي: وتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي.** بيروت: دار الطليعة. ص٢٤-٢٥.

تجد لها دوراً في كل هذا، أو لم تتخيل أن لها دوراً، ولم يحدث تغير جذري في ثقافة كل تجربة الطبقة الوسطى ، فبقيت طبقة خارج السلطة .

٢- بين تألقها وانطفائها السريع كانت الطبقة الوسطى العراقية الناشئة وخصوصاً في فترة نضجها في عقود الأربعينات، الخمسينات والستينات تمتاز بدورها في مجال الفن والفكر، وبغض النظر عن الانتماء القومي والديني والطائفي أرست هذه الطبقة وعززت التعددية الفكرية وأفكارَ التسامح والسلام الاجتماعي.

٣- من السهل أن نلاحظ أن القاعدة الاقتصادية ونمط المعيشة والكثيرَ من المشتركات بين أفراد هذه الطبقة قد عززت لحمة النسيج الاجتماعي للشعب العراقي وضيقت على دعوات الفرقة والاختصام وبفضلها انتشرت معايير التعامل على أساس إنساني بغض النظر عن الطائفة والقومية والدين.

٤- الايمان بعودة نمو الطبقة الوسطى إلى الظهور القوي مجدداً في المجتمع العراقي، لأن تراجع دورها مؤقت وعابر بسبب اعتمادها على مستوى عال من التعليم والثقافة. ولأن الدخل المادي وحده ليس هو العامل الأبرز في تطور الطبقات والمجتمعات.

٥-أن التعليم الجيد والمستوى المعاشي المزدهر يؤثران في الانتماء إلى جمعيات وحركات سياسية وتشكيل قوى ضغط وجماعات مصالح ، تقوم بعدد من المهام مثل منع احتكار السلطة لفئة معينة.

ثانياً / التوصيات Recommendations

١- توسيع دائرة العمل والسلطات المتاحة للجمعيات الأهلية حتى تقوم كلاً منها بمعالجة المجتمع المحلى الذى تتبعه. إذ أن لكل من اتحادات رجال الأعمال والاتحادات المهنية قدرة كامنة، أن تحررت، على تخطي الاثنيات والطوائف، وتعزيز الأسس الشاملة للتمدن وحكم القانون والشفافية. حين تنضم جماعات

المالكين إلى اتحادات رجال الأعمال والتجار، في حين أن للموظفين وأصحاب الرواتب نقاباتهم أو جمعياتهم المهنية الخاصة، نذكر منها اتحادات الكتاب والصحافيين والاقتصاديين والقضاة وغيرها.

٢- إتاحة مساحة من الحرية لتفعيل مشاركة أفراد المجتمع بصفة عامة والطبقة الوسطى بصفة خاصة في تقوية وتأكيد الانتماء والحس الوطني لدى السلطة أولاً ثم لدى الأفراد، حتى تكون السلطة قدوة لبقية أفراد المجتمع في التضحية والعمل من أجل المجتمع.

٣-أن تعمل الدولة على تحقيق مصالح الطبقة الوسطى، وعلى توفير الخدمات وتحسينها.

المصادر العربية والاجنبية

١-ارون. ريمون.(١٩٨٣). **صراع الطبقات**. ترجمة: عبد الحميد الكاتب. ط٣. بيروت: منشورات عويدات.

٢-إليزابيت. لونغنيس.(٢٠١٢). **أزمة الطبقات الوسطى في المشرق العربي المهن العليا ودورها في التغيير الاجتماعي**. ترجمة رندة بعث. لبنان: الشركة العالمية للكتاب.

٣- زايد. احمد عبد الله.(١٩٨٤). **علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية**،ط٢، القاهرة: دار المعارف.

٤- زايد. أحمد.(١٩٩٠).**الدولة ونمط التنمية في العالم الثالث- تحليل سوسيولوجي للدور الاقتصادي للدولة**. المستقبل العربي. العدد (١٣٣).

٥- زايد. أحمد وآخرون .(٢٠٠٦). **التغير الاجتماعي** .القاهرة :مكتبة الانجلو المصرية.

٦-**حافظ. عبدالعظيم جبر** .(**٢٠٠٩**). التحول الديمقراطي في العراق الواقع ..المستقبل .القاهرة : مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي.

٧-لوكاش. جورج.(١٩٨٢). **التاريخ والوعي الطبقي**. ترجمة: حنا الشاعر. ط٢. بيروت: دار الأندلس.

٨-مار .فيبي.(٢٠٠٩) . **تاريخ العراق المعاصر، الجزء الاول –العقد الجمهوري الاول** ، ترجمة مصطفى نعمان احمد ، ط١، القاهرة : مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي.

٩-محمود عبد الفضيل .(١٩٩٧).**التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي**. بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية.

١٠-سنغلتون .جيني.(١٩٩٩). **الحزب الوطني الديمقراطي العراقي في العهد الملكي** . ترجمة مجموعة من المترجمين . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١١- عبد الجبار. فالح.(١٩٩٥). **الدولة والمجتمع المدني والتحول الديمقراطي في العراق**. القاهرة: مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية. دار الامين للنشر والتوزيع.

١٢-عبد الوهاب. ابراهيم عبد الوهاب.(١٩٨٤). قضايا اساسية في دراسة التركيب الطبقي للمجتمعات النامية، في **مجلة دراسات سكانية**، جهاز تنظيم الاسرة والسكان ، المجلد ١١، العدد(١٠١)، القاهرة.

١٣-عبد اللطيف . رشاد (١٩٩٥). **تنظيم المجتمع وقضايا التنمية** . القاهرة : دار الجامعة.

١٤-عبد المعطي. عبد الباسط.(١٩٩٥). **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

١٥-ف.أ. لينين.(١٩٧٦). **المختارات في ثلاثة اجزاء**، المجلد ٢، الجزء(١)، موسكو: دار التقدم.

١٦-ف.أ. لينين.(١٩٨٥). **الاعمال الكاملة**، الترجمة العربية، المجلد السابع. موسكو: دار التقدم.

١٧-فلاديسلاف اركان يفيتشباتشينين. (١٩٩١). **البرجوازية الصغيرة كمشكلة اجتماعية اخلاقية**. ترجمة: يوسف إبراهيم جهماني. دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع.

١٨-تيماشيف. نيقولا.(١٩٨٢). **نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها**. ترجمة: محمود عودة وآخرين، ط٧. القاهرة: دار المعارف.

19-Birdsall.N., C. Graham and S. Pettinato.(2000**). Stuck In The Tunnel : Is Globalization Muddling The Middle Class**. Center on Social and Economic Dynamics Working Paper N O. 14.

20-Carolyn Howe.(1992). **Political Ideology and Class Formatian "A Study of The Middle Class"** . Prager. London.

21-Erick Olin Wright.(1980).Varieties of Marxist Conceptions of Class Structure, **Politics and Society**, Vol. 9, N(3).

22-Fuad Baali. (1969).**Agrarian Reform in Iraq**, The American Journal of Economic and Sociology ,Vol . 28.

23-Glassman, R.M.(1995). The Middle Class and Democracy in Socio-Historical Perspective. New York: E. J. Brill.

24-Hanna Batatu.(1978). **The Old Social Class and the Revolutionary Movements of Iraq : AStudy of Iraq s Old Landed and Commerical Classes of Its Communists** , Ba thists, and Free officers, Princeton Studies on the Near East(Princeton, NJ: Princeton University Press

25-Hull.S.(1979**). Political and Economic in Marx Theory of Class in hunt, A. (ed) Classes and Class Structure** , London: Lawrence & Wish art .

26-Henry Grayson.(1995). **The Crisis of The Middle Class**, New York: Rinehart Company, Inc.

27-Janel Thompson . B.A.(1986). **Sociology made simple**. Heinemann, London.

28-M.S.Hicko .(1995). **The English Middle Class Debate** , B. J. S. , vol. 46 , no(2).

29-N.Poulantzas.(1987).Classes in Contemporary, Class in Contemporary Capitalism. London. Verso.

30-Phep Marr.(1985).**The Modern History of Iraq**. Group tad Longman House.

31-P.S.Parker. (1998). **The Idea of Middle Class-White- Collar Worker and Peruvian** , Pennsylvanian , The Pennsylvania State University Press.

32-Tiffani Chin and Meredith Phillips .(2004).Social Reproduction and Child-Rearing Practices: Social Class, Children's Agency. **American Sociological Association.** .Vol. 77, No. (3).

33-Val Burris.(1980). Capital Accumulation And The Rise Of The New Middle Class . Review **Of Radical Political Economy**. Vol. 21 . No.(1).

34-William G.Roy.(1984).Class Conflict And Social Change In Historical Perspective. Annual Review Of Sociology. Vol. l . 10.